

الثورة الجزائرية في النص الشعري العربي نماذج مختارة

د. بوكليخة ستي

جامعة تلمسان /الجزائر

تاريخ القبول: 2020-09-07

تاريخ الإرسال: 2020-06-18

ملخص:

إنّ الحديث عن الثورة الجزائرية لا ينتهي ولن ينتهي؛ لأنها ثورة الشرفاء وقبله الثوار الذين انتفضوا ضدّ أكبر دولة استعمارية، ثورة حققت حلم الشعب الجزائري ورفعت رأس الأمة العربية عاليا. ثورة فرضت نفسها على الوجدان الإنساني عامة والعربي خاصة، وأضحت حديث العام والخاص، وإذا كان الشعراء أكثر الناس إحساسا وشاعرية فقد جادت قرائحهم بأجود الأشعار تمجيدا للثورة الجزائرية. والشعر بوصفه تعبيرا وجدانيا فقد وجد شعراء العرب في الثورة الجزائرية معينا لا ينضب للتعبير عن مشاعرهم والمشاركة بالكلمة مع إخوانهم في الجزائر، فاندفعوا بمجدونها تارة ويتغنون بها تارة أخرى. وقد زلزلت الثورة وجدان الشعراء العرب من المغرب إلى بغداد، ومن تونس إلى مصر، فتفجرت ينابيع سالت بقصائد خلدت الثورة الجزائرية المباركة. يسعى هذا المقال لإيضاح الإشكال التالي: ما مكانة الثورة الجزائرية في النصّ الشعري العربي؟ سنحاول الإجابة عن هذا الإشكال من خلال بعض النماذج المختارة في النصّ الشعري العربي، (نماذج مختارة من المغرب، ليبيا، تونس، سوريا، العراق، مصر...).

الكلمات المفتاحية: الشعر؛ الثورة الجزائرية؛ التضحية؛ شعراء العرب.

Summaray :

Talking about the algerian revolution has never been over and will never be so. Because it was a revolution for honest

people and an aim for revolutionaries who fought against the biggest colonizing country.

A revolution which realised the dream of algerian people and raised the head of the Arabian nation high. A revolution which posed itself on human conscience and especially the Arabian one, and became (conference) a private and public conference, and if the poets were the best ones to express their feelings towards this revolution we can say they could glorify it in the best verses.

And since poetry is described as a conscience expression, it found the algerian revolution a source of inspiration to Express their feelings and share them with their brothers in Algeria so they sometimes glorified it and sometimes sang it.

The Algerian revolution shook the conscience of Arabian poets from Morocco to Baghdad and from Tunisia to Egypt and was a source of streams of poems which perpetuated the great and glorious algerian revolution.

This article aims at clarifying the following problem : what's the position of the Algerian revolution in Arabian poetic texts ? We will try to answer this problem in a number of selected samples from the Arabian poetic texts (samples selected from Morocco, Liby, Tunisia, Syria, Iraq, Egypt...).

Keys words : Poetry–revolution – sacrifice –Arabian poets.

البحث:

توطئة:

لاشك أن الأديب صاحب خيال، وشعور مرهف؛ فهو لا يدرك الأشياء كما هي، بل يدركها ممزوجة بمشاعره ويضيف إليها من تَخَيُّلِهِ، فيثير الإعجاب ويستهوِي النفوس. وما أكثر من كتبوا عنها وما أكثر من تغنوا بها، وقد حظيت الثورة الجزائرية بعناية الأدباء والشعراء العرب –مغربا ومشرقا- فألهمت حماسهم وشجذت قرائحهم فقالوا فيها قصائد رائعة، وإذا بحثنا عن سرّ وقوف شعراء العرب معها نجد أسبابا منها: أولا: كونها ثورة الشرفاء، الذين انتفضوا ضد أكبر دولة استعمارية في العالم. ثانيا: تضحيات شعبها الغالية فقد دفع الشعب الجزائري النفس والنفيس من أجل

حريته، وقد هزّت الثورة الجزائرية وجدان كل العرب، بل كل أحرار العالم، وحركت أحاسيس الشعراء وأعلنوا تضامنهم معها؛ لأنّهم اعتبروها مفخرة العرب التي رفعت رأس الأمة العربية وانتصرت على أكبر دولة استعمارية. والشعر بوصفه تعبيراً وجدانياً فقد وجد شعراء العرب في شتى أنحاء الوطن العربي في الثورة الجزائرية معيناً لا ينضب للتعبير عن شعورهم، وحُقّ للشعراء أن يتغنوا بالثورة وببطولاتها وتضحياتها؛ لأنّها حققت أمل الأمة العربية وأعدت أمجادها. ونبدأ الحديث من المغرب الأقصى باعتباره أقرب جغرافياً للجزائر.

1-المغرب: تربط الجزائر بالمغرب الأقصى علاقات تاريخية وجغرافية وروابط وعادات وتقاليد كثيرة، ولم يكن المغرب بعيداً عما يحدث في الجزائر، إذ كان الهمّ مشتركاً، فقد قدم المغرب الدعم المادي والمعنوي للثورة الجزائرية وفتحت أبوابها لاستقبال المهاجرين الجزائريين الفارين من التعذيب والإبادة الجماعية التي انتهجتها فرنسا، وإذا كان الشعراء أكثر الناس إحساساً فقد وجد الشعراء المغاربة في ثورة نوفمبر متنفساً لمشاعرهم وطموحهم فجدت قرائحهم بقصائد تمجد بطولات وتضحيات إخوانهم بالجزائر. وقد دفعت الثورة الجزائرية بالشعراء المغاربة إلى المشاركة بالكلمة إلى جانب إخوانهم في الجزائر، وكلنا يعلم ما للكلمة من وقع على النفوس فقد تكون أشدّ وقعا من السلاح في كثير من الأحيان. فحاولوا التعبير عن معاناة وآلام شعب أعزل لا يملك سوى إيمانه بالله والعزيمة والإرادة.

وفي هذا النموذج الشعري يتضح كيف تجاوب الشعراء المغاربة مع ثورة نوفمبر، يقول الشاعر "محمد بن دفعة" - وهو من الشبان المغاربة الذين تمنوا أن يموتوا من أجل الجزائر وسجل موقفاً متميزاً من خلال انفعاله بأحداث الثورة- في قصيدته "صوت شعب" يقول :

أنا في الجزائر

ثورة لن تخمدا

أنا لست أرهب أن يغيلني أن

أمت، بقيت بطولتي بعدي ما بقي ندا

تحيا الجزائر أمة عربية

وإذا قضيت فداءها لن أفقدها

أنا إن مت فعروبتني تحظى بما

أنا صوت شعب أقسمت أوراسه

أن لا تنام وثأره هذا سدى⁽¹⁾.

ودائما ما يأتي الحديث عن الثورة الجزائرية مقرونا بالحديث عن "الأوراس" معقل الثوار، إذ تغنى الشعراء العرب بالثورة النوفمبرية واعتبروها ثورتهم وخاصة جبال "الأوراس" التي انطلقت منها الشرارة الأولى للثورة واقتن اسمها بهذه الجبال، وهذه الأبيات تشيد وتمجد "بالأوراس" التي أصبحت رمز الكبرياء والصمود والمقاومة والشموخ والعزة.

⁽¹⁾ - الجزائر في الأدب المغربي الحديث والمعاصر، عباس الجارري، مجلة الأصالة، السنة الثانية، العدد 11، نوفمبر 1972، ص 71.

يقول شاعر آخر من المغرب في قصيدة بعنوان "أبو كبور" كان صديقا له ومات شهيدا:

تَقَلَّدْتُ البُنْدُقيَّة

ووثَّمتُ على صَدْرِي

في الجَهَّةِ اليسرى قلبا

كَتَبْتُ فِيهِ الجَزَائِرَ ؟ الجَزَائِرَ ؟

آه للجَزَائِرِ وتدحرجت

على قمم الأوراس نصرا كمليون نصر⁽¹⁾.

يبدو الشاعر مفعما بحماس كبيرا، وهو يعبر عن مشاعره اتجاه الجزائر وثورتها، ورأى النصر يرفرف على جبال الأوراس الشامخ شموخ أبطاله.

وهذا الشاعر "إبراهيم السولمي" من المغرب كذلك يوجه نداءه إلى أخيه في الجزائر في قصيدته بعنوان "أخي في الجزائر"

فديتك يا عينا على سفح الجبل

يا زارع أرضي بحبات الأمل ومديد الأجل

أنت أدري أن أوراس يباهي بك فخرا

(1) - الجزائر في الأدب المغربي الحديث والمعاصر، عباس الجباري، ص 72.

قمة العزة أوراس صخرة فاضت على الدنيا حماس⁽¹⁾.

ففي هذه الأبيات يفتخر الشاعر بجمال الأوراس، إذ اعتبرها قمة العزة والكرامة التي زرعت الأمل في الأمة العربية.

وننتقل إلى بلد مجاور آخر، حيث كان للثورة الجزائرية صدى كبير هناك، ألا وهي ليبيا، فقد كان الشعب الليبي متابعا لما يحدث في الجزائر، وقدم يد العون إلى الثورة والثوار، وكثيرا ما امتزجت دماء الجزائريين والليبيين في معارك عنيفة.

2- ليبيا: تربط الجزائر بليبيا علاقات وطيدة بحكم اللغة والدين والجوار، وقد تفاعل الليبيون مع الأحداث التي كانت تجري في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي الغاشم، إذ شاركوا في الكثير من المعارك مع إخوتهم في الجزائر. وقد عبّر الشعراء الليبيون عن عمق الإحساس والارتباط بالثورة التحريرية في دواوين شعرية خالدة تنم عن وحدة الشعبين الليبي والجزائري ووحدة المصير المشترك.

وسوف نركز على بعض النماذج المختارة بدءا بالشاعر حسن غالب (1885م- 1978م)، من قصيدته "غضبة الجزائر" يقول:

وشار ليأخذ حقًا سلب	فشعبُ الجزائر حقًا غضب
يَخُوضُ المَيَايا لَنَيْلِ الأرب	فشعبُ الجزائر شَهْمُ أبي
ولو دون ذاك كؤوس العطب	ولا يَنْشِي دون نيل الأماي
وإن لم تُعودي نريك العجب	فرنسةٌ عُددي إلى الرشد حتما

(1) - المرجع نفسه، ص 73.

سنجعل منك وقود الجحيم فنحن الجحيم وأنت الخطب⁽¹⁾.

يتغنى الشاعر في هذه الأبيات بشجاعة وبسالة الشعب الجزائري الذي لا يخاف من الموت ولا يهاب الصعاب، وفي المقابل دعا فرنسا إلى الرجوع عن سياستها الجهنمية اتجاه الجزائر وتوعدها بنار الجحيم التي تنتظرها في أرض الجزائر العربية الأبية.

3- تونس: امتزجت دماء الجزائريين والتونسيين في عدة أماكن على الحدود التونسية والجزائرية، ولم يقعد التونسيون يتفرجون على إخوانهم في الجزائر فشاركوا في معارك كبرى- مثل ساقية سيدي يوسف الحدودية- إلى جانب الثوار وقدموا لهم السلاح. وسوف نقدم نموذجاً شعرياً لأحد أعلام الفكر الإسلامي في العالم "عثمان الكعك" (1903م- 1976م) الذي أحب الجزائر وشعبها حباً جماً، وتغنى بتاريخها وناضل من أجلها وقد توفي على أرضها -رحمه الله- في الملتقى العاشر للفكر الإسلامي في الجزائر بعناية عام 1976م وكان عنوان المحاضرة التي لم يلقها: "الأبعاد الروحية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية للعبادات وأهميتها لكل من الأمة والفرد"، يقول في قصيدته بعنوان "ملحمة منتصف الليل"⁽²⁾:

ذلك هو يوم فاتح نوفمبر 1954

ويوم عظيم الأثر

⁽¹⁾ - الثورة الجزائرية في الشعر الليبي، عبد الله سالم مليطان، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، (د ط)، الجزائر، 2004، ص 16-17.

⁽²⁾ - ملحمة منتصف الليل، عثمان الكعك، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 22، 1974، الجزائر، ص 103-104.

انطلقت فيه كل حرة وحر، لإزالة الشر، ورفع الضر، من أقصى البر، إلى أقصى

البر

يوم كسر الأغلال

وحقق الآمال

وأبجز الاستقلال

هبت فيه النساء والرجال

شيوخ وأطفال

ملوا الهوان

وكافة أساليب الامتهان

الذين ما عرفوا ولن يعرفوا رحمة ولا شفقة ولا حنان

طوفان من دموع شيخ هرم أهين في أعز مقدساته الشيخ الوقور عبد الرحمان

طوفان من ملايين الأطفال مات أبائهم وأمهاتهم فبقوا كالخرفان في قطيع

السرحان

طوفان من الفتيات الجميلات المجاهدات الوطنيات ألقين بأنفسهن من حائق جبل

مستاوة

وصرخن: يأكلنا التراب، ولا تأكلنا الكلاب

منتصف الليل في الأوراس

انطلقت الحبة الأولى ذات أزرير

انطلقت في الآن نفس حبة بخنشلة الجميلة

انطلقت في الآن نفس حبة في القبائل

في جبل لا لا حديجة المرابطة المهاجرة

انطلقت في الآن نفس حبة في العاصمة

والضربة البكر الحاسمة⁽¹⁾.

صدق "عثمان الكعك" حين نعت الثورة الجزائرية بالطوفان المدمر، لن يستطيع أحد أن يوقفه، فقد شارك فيها الرجال والنساء والشيوخ والأطفال، فالكل هبّ لتلبية نداء الوطن والحرية.

ومن زاوية أخرى هزت ثورة نوفمبر العالم بأسره إذ ظن البعض أن الجزائر انصهرت وذابت في فرنسا بعدما طمست هذه الأخيرة كل ما يتعلق بالجزائر من هوية وشخصية ومحت كل ما يربطها بالعالم الإسلامي، بل كان هناك من الأوروبيين من لا يسمع باسم الجزائر وأين تقع؟!

ورغم بعد المسافة فقد كان لثورة نوفمبر صدى كبير في نفوس المشاركة، فمن العراق إلى الشام ومن مصر إلى فلسطين...، ظفرت ثورة نوفمبر بمكانة خاصة في

(1) - ملحمة منتصف الليل، عثمان الكعك، ص 106-107-108.

قلوبهم، فانطلقوا يعلون من شأنها ويقدمون لها يد العون وأمدوها بالسلاح والعتاد عن طريق الحدود التونسية والليبية والمغربية، وكانت إذاعة "صوت العرب" من أرض الكنانة تبث أخبار الثورة والثوار.

4- العراق: كان للثورة الجزائرية الفضل الكبير في تفجير يناييع الشعر عند الشعراء العرب في مختلف البلدان العربية، ويصعب على الباحث حصر الموضوعات التي تطرق إليها الشعراء العرب، فقد جمعوا بين متعة القول الشعري ومتعة الموضوع- الثورة- التي أصبحت مصدر إلهامهم ومجالاً خصبا لخياهم، إذ تحركت أحاسيس شعراء العراق تفاعلا مع ثورة نوفمبر العظيمة يمجدها تارة ويتغنون بها تارة أخرى.

وها هو الشاعر "محمد جميل شلش" العراقي (1930م) يتفاعل ويرتبط بالثورة الجزائرية أعمق ارتباط، ويقدم تحية للجزائر يقول فيها :

من هذه الآفاق ...

حيث تُعانق القمم السحاب ...

من أوراس يا وطن الكفاح،

غنيت باسمك، والجراخ

وتُشدني نحو الكفاح ...

وشعبي الجبار، يصنع من خلال

مأساتنا، فجر التحرير والنضال ...

وما يزال

أبدًا، يغني الشمس محترقًا...⁽¹⁾

فالشاعر "محمد جميل شلش" يدعو إلى مواصلة النضال والكفاح حتى النصر، ويسجل موقفه الحازم والرافض لممارسات فرنسا الوحشية، ودعمه للشعب الجزائري في كفاحه.

وقد لعبت المرأة الجزائرية الدور الأمثل إلى جانب أخيها في الجهاد، فقد كانت المناضلة والمحاربة والمجاهدة والمرضة والطباخة...، وقد حفل سجل الثورة بأسماء عديدة لنساء استشهدن في معركة التحرير وكتبن أسماءهن بأحرف من ذهب في تاريخ الجزائر وفي وجدان الأمة العربية، ومن الحرائر التي خلّدهن تاريخ الجزائر ثلاث جميلات اقترن اسمهن بالثورة التحريرية هنّ: جميلة بوحيرد، وجميلة بوباش، وجميلة بوعزة. إلا أنّ اسم جميلة بوحيرد حظي بالكثير من الفخر والاعتزاز في قلوب العرب وخاصة الشعراء لما سمعوه عنها من مقاومة في سجن الاحتلال وما لاقته من العذاب الشديد، دون خضوعها أو استسلامها. فقد حكم عليها بالإعدام عام 1957م، لكن العالم تحرك وثار ضد قرار الإعدام فما كان من فرنسا إلا التراجع والحكم عليها بالسجن المؤبد، ثم أطلق صرحها بعد الاستقلال. ولاسم جميلة بوحيرد - مكانة كبيرة في الشعر العربي- فهي أيقونة الثورة الجزائرية ورمز المرأة العربية الأبية المكافحة التي صمدت ورفضت الدّل والمهانة، ويوجه "محمد جميل شلش" (1930م) من العراق رسالته بعنوان "إلى أحرار العالم" يقول:

⁽¹⁾ - ديوان محمد جميل شلش، دار العودة، ط 2، بيروت، لبنان، 1977، ص 146-148.

-2-

ارفعوا الأيدي الذليله

ارفعوها عن "جميلة"

اذكروا الوحش الذي.....

يقتل معنى شرف الإنسان

في قتل جميله

من هنا تحيا الجزائر⁽¹⁾

-1-

من هنا، عن محنة العالم في أرض الدماء،

من هنا، عن شرف الإنسان في أرض الدماء،

من هنا، أكتبُ في أعماق سجني

عن بقايا عالم، ينحزُّ في دربِ الرذيلة

كُلُّ معنى للفضيلة،

من هنا يا شرفاء

فالشاعر يصيح بصوت عال اتركوا جميلة وارفعوا أيديكم عنها يا من تدعون الحرية والعدالة، ثم يطمئن جميلة بالنصر وأنها ستبقى في قلوب كل العرب.

ومن الأماكن التي كان لها حضور قوي في الشعر العربي مدينة وهران، إذ اقترن اسمها بالمقاومة، وقد ألهمت كثيرا من الشعراء العرب فذكروها في قصائدهم، يقول "محمد جميل شلش":

-2-

وأن مجد الشمس يا وهران،

-1-

حبيتي وهران،

(1) - ديوان محمد جميل شلش، ص 53-54.

يا وردةً حمراء...
 للكادح الثائر في عالمنا المهان،
 يا عصفورةً خضيبية الأغان،
 يا وردةً حمراء...
 عيناك نجمتان
 يا عصفورة تطير
 جريحتان، مثل قلبي...
 في شرقنا الكبير،
 الصامد المعذب المهان،
 والثورة....
 عيناك يا عصفورتي
 يا محنة العالم، ففي ضمير
 تومضان للشعوب
 يا وهران⁽¹⁾

بأن تقرير المصير في يد الإنسان،

ولا نغادر بغداد دون ذكر الشاعر "بدر شاكر السياب" (1962م- 1964م)،

الذي قال عن وهران:

-2-

-1-

من قاع قبري أصبح
 في خبزك اليومي دفء الدماء
 حتى تنقن القبور
 من لحمك الحي الذي نشتهي
 من عالم في حفرتي يستريح
 نكهة الشمس فيه

(1) - ديوان محمد جميل شلش، ص 187-189.

وفيه طعم الهواء

من عالمٍ من قبري أصبح

آه لوهران لا تتوز⁽¹⁾

لا تياسوا من مولدٍ أو نشور !

6- سوريا: رغم بعد المسافة، إلا أن شعراء الشام كان لهم حضور قوي، فقد جادت قرائحهم بقصائد رائعة تمجد بطولات الشعب الجزائري وتضحياته الكبيرة، ومن بين الشعراء نذكر "نزار قباني" 1923م- 1998م، الشاعر السوري الكبير فقد خص ثورة نوفمبر بقصائد رائعة عبّر من خلالها عن اعتزازه وافتخاره بالبطلة جميلة بوحيرد التي لقبها بـ "جان دراك العرب"، ففيها يقول الشاعر من الشعر الحر:

-2-

-1-

الاسم : جميلة بوحيرد

الاسم: جميلة بوحيرد

أجملُ أغنية في المغرب

رقمُ الزنزانة: تسعون

أطول نخله

في السجن الحربي بوهران

أتعبت الشمس ولم تتعب

والعمرُ اثنانٍ وعشرون

يا ربي، هل تحت الكوكب؟

عينان كقنديلي معبد

يوجد إنسان

والشعرُ العربيُّ الأسودُ

يرضى أن يأكل... أن يشرب

اسم مكتوب باللهب

هي والتحرير على موعد⁽¹⁾.

(1) - نماذج من الثورة في النص الشعري، التواتي بومهلة، دار المعرفة، (د ط)، الجزائر، 2012، ص 132.

القصيدية غنية غنى واضحا بالصور المقاومة التي تظهر صلابة وقوة جميلة أما العدو.

ولا يمكن أن نغادر سوريا دون أن نذكر صديق الجزائر الذي واكب ثورة نوفمبر منذ لحظة الميلاد وحتى استقلالها، الشاعر السوري "سليمان العيسى" (1921م- 2013م). إذ يعدّ بحق "شاعر وصديق الثورة الجزائرية"، حيث ارتبط اسمه بالثورة التحريرية، فحمل للجزائر ولثورتها حبا كبيرا، حتى خصّص ديوانا كاملا سماه "ديوان الجزائر" مجد فيه بطولات أبناء الثورة رجالا ونساءً. والأبيات التالية من قصيدته "من ملحمة الجزائر" خير شاهد على ذلك:

رَوْعَةُ الْجُرْحِ فَوْقَ مَا يَحْمِلُ	اللفظ ويقوى عليه إعصارُ شاعرٍ
أُغَيِّيْ هَدِيْرَهَا؟ وَالسَّمَاوَاتُ	صَلَاةٌ لَجُرْحِهَا وَمَجَامِرُ؟
أَأُنَاجِي تُوَّارَهَا؟ وَدُويِ النَّارِ	أَبِيَاتِهِمْ، وَعَصْفُ الْمَخَاطِرُ؟
مَا عَسَانِي أَقُولُ؟ وَالشَّاعِرُ الرَّشَاشُ	وَالْمَدْفَعُ الْخَطِيْبُ الْهَادِرُ؟
وَالضَّحَايَا الْمَمْرُقُونَ وَشَعْبُ	صَامِدٌ كَالْإِلَهِ يَلْوِي الْمَقَادِرُ
فَوْقَ شَعْرِي وَفَوْقَ مُعْجَزَةٍ	الْأَلْحَانُ هَذَا الَّذِي تَحْطُّ الْجَزَائِرُ ⁽²⁾

هكذا تغنى "سليمان العيسى" في شعره بالجزائر وثورتها العظيمة، فجاءت ألفاظه معبرة عن إرادة شعبها وصلبة كصلابة جبال أوراس.

(1) - نماذج من الثورة في النص الشعري، التواقي بومهلة، ص 124-125.

(2) - ديوان سليمان العيسى، الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، بيروت، 1995، ص 439.

7- مصر: ألهمت الثورة الجزائرية كوامن الشعراء المصريين، فقد شاركوا إخوانهم في الجزائر فرحة قيام الثورة فتنبوا ودافعوا عنها؛ لأنها ثورة الشعب الجزائري الأعزل الذي لطالما عاش تحت الاستعباد طيلة مائة وثلاثين عاما، ولأن الشعراء جزء لا يتجزأ من شعوبهم فقد حملوا على عاتقهم شرف المشاركة في ثورة نوفمبر بالكلمة فنقلوا صدى الثورة التحريرية إلى الشعب العربي الذي عاش مع القضية الجزائرية واعتبروها قضية الأمة العربية بأسرها.

وها هو الشاعر "أحمد عبد المعطي حجازي" 1935م يعبر عن إعجابه بجيل نوفمبر الذي زلزل السلطات الفرنسية، يقول:

مدن المغرب ترتج على قمم الأوراس

زلزال في مدن المغرب لم يهدأ منذ سنين مائة

لم يترك في جفن أملا لنعاس

يأتي المولود على صوت الزلزال

ويموت رجال

فيودعهم صوت الزلزال⁽¹⁾.

فالشاعر أحمد عبد المعطي حجازي يرى في ثورة نوفمبر زلزالا في قوتها، وعظيمة في تضحيات أبنائها، فقد كانت الجزائر سخية في التضحيات التي قدمها أبنائها- مليون

⁽¹⁾ - الثورة الجزائرية في الشعر المصري المعاصر، أحسن مزدور، مكتبة الآداب، ط 1، القاهرة، 2005، ص 42-43.

ونصف المليون- من الشهداء الأبرار، وسوف تكون انطلاقة كبرى لبلاد المغرب العربي الكبير.

وهذه الروح القومية المؤازرة لثورة المباركة نجدها عند الشاعر "محمد السيد شريف" (1930م) الذي سجل تضامنه مع ثورة نوفمبر في الأبيات التالية التي يقول فيها:

أنا يا أخي خلف انطلاقات الأباة في الجزائر

وبجاني السوري واليميني تحدونا البشائر

مَكَّنْ لقبضتك القوية إنَّ خَلْفَكَ كلَّ نائر

يضرب ضعاف الراقدين ويستحث لك العشائر

ويُعِيد للقومية الكبرى التي نمت الأواصر

اضرب هناك عدونا ولسوف أضربه هنا

واغسل رباها بالدم المسروق من أرضي أنا

لا تحنّ للباغي ولا ترحم هنا جلاذنا⁽¹⁾.

يبدو واضحا غضب الشاعر "محمد السيد شريف" على العدو الفرنسي، فهو متأكد من أنّ الثورة الجزائرية هي ثورة كل عربي يأبى الظلم والاستعباد.

¹ - الثورة الجزائرية في الشعر المصري المعاصر، أحسن مزدور، ص 46.

ومازلنا في أرض الكنانة وهذه المرة مع الشاعر أحر وهو "كيلاني حسن سند" (1925م- 1979م) الذي كتب قصيدة وجه فيها خطابا إلى ثورة نوفمبر، يقول:

انفجري يا قوى الجزائر

انفجري براكين نائر انفجري كألف ينبوع لظى

تحيط بالسفاح بالجزائر

انفجري صواعقا زلزلت

وجه الثرى باللهب الهادر⁽¹⁾.

ففي هذه الأبيات اختار الشاعر من الكلمات القوية والدالة على غضبه من فرنسا، وفي المقابل حثّ الثوار على الجهاد والمزيد من الصبر والقوة لردع الاحتلال الغاشم وهذه الأبيات مأخوذة من قصيدة " ثورة الجزائر".

ونفتح نافذة نطل من خلالها على أحد الشعراء المصريين الذين اهتموا بالثورة الجزائرية ألا وهو "حسن فتح الباب" (1923م)، الذي ندّد بجرائم فرنسا عندما قامت بإحراق الشهيد البطل "عبد الحميد بوصوف" في قصيدته " شهيد من الجزائر":

كانت بيادِرُ الحِصَادِ تَشْتَعَلُ

تَسُدُّ عَيْنَ الشَّمْسِ بِالشَّرِّ

(1) - ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر، حسن فتح الباب، الدار المصرية اللبنانية، (د ط)، القاهرة، 2005، ص

وأدمع النساء لم تَقْضُ

على الثرى مناضل سقط

فالموتُ كان يَجْرُفُ الجليد

يَقْتَحِمُ الأسلاكَ والسُدود

ويطعمُ الوليدَ نارَ الثَّارِ

لما هوى "بوصوف" يَحْتَرِقُ (1)

يستنكر الشاعر جرائم الاستعمار الفرنسي إبان الثورة الجزائرية، فهي حين أقدمت على حرق البطل "عبد الحميد بوصوف" حيًّا، قد فتحت أبواب جهنم؛ لأنَّ الجزائر أنجبت من "بوصوف" الآلاف من الأبطال وكلَّهم على الاستعداد للتضحية من أجلها.

خاتمة:

إنَّ الحديث عن الثورة الجزائرية، لا يكفي فيه هذا العرض السريع، ونحن لم نتناول جميع شعراء العرب الذين تناولوا ثورة نوفمبر المعجزة، وما هذه النماذج الشعرية سوى استعراض سريع أبرزنا من خلاله تجاوب وتفاعل مختلف شعراء العرب معها.

وخلاصة القول: تكمن عظمة الثورة الجزائرية في التفاف كل الشعب الجزائري حولها رجالا ونساء وشيوخا وأطفالا. وقد كانت ثورة نوفمبر مصدر إلهام قرائح شعراء العرب - مغربا ومشرقاً-. واحتلت الثورة الجزائرية مكانة خاصة في قلوب الشعراء

(1) - ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر، حسن فتح الباب، ص 87-88.

العرب، إذ أصبحت رمزا للحرية والكرامة. وقد تفاعل معها العرب كافة من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق، فأزروها ماديا ومعنويا. والثورة الجزائرية حاضرة في الخطاب الشعري العربي؛ فالشعراء الذين تناولوا الثورة الجزائرية لا تحصى قصائدهم ...
وفي الأخير، إنّ أصالة الثورة وصدق تضحياتها لكفيلة بأن تحلّد وتكتب بأحرف من ذهب.